

البطولة ، وليكن أسطورة من الأساطير ، ولكنها المبالغة التي تفصح أكثر مما تخفى ، وتنبى أكثر مما تكتم ، لقد تركها بعد أن أحس منها بوادر القطيعة ، ولكنه جعل يتعلل بالمعاذير ، وحين انجلت له الحقيقة وأسفر وجه اليقين الذي ينبغي أن يميت كل شك ، وأن يرد الحائر إلى صوابه ، لم يعدم تعلقة يطيب بها جراحاته ، ويداوى كرامته المثلومة ، إنه يلتقى فى نهاية القصة هذا السؤال « أليس من الجائز أنها وفيت لك أيام عشرتها ، واستحقت وفاءك لها وصيانتك لها وغيرتك عليها ؟ أليس من الجائز أنها يمست منك فزلت بعد الفراق » ؟

سؤال يهجس له بين الحين والحين ، وهو لا ينتظر إجابته ، لأنه من نوع الأسئلة التي تلقى لترجح ، وقد يكون فى الإجابة عنها ما يسوء ولا يريح .

هل هو تعلقة أكثر منه سؤال ، يطرحها العقاد فوق داخله الذى يضطرم بمشاعر حادة ومتناقضة ، فيها الضعف وفيها الإخفاق ، وفيها الإحساس بأنه قد غرر به ، يقولون : إن نوعاً من السمك يطلق خلفه سحباً من الدخان تحميه من غدر الصائد وتحفظه من مكر الأعداء .

وأى شىء ينفرد العقاد أكثر من الضعف والإخفاق والإحساس بالهزيمة ، إن هذا يتنافر مع الصورة التي رسمها لنفسه أولهمام - وللاسم دلالتة - رجل يقارب الأربعين يملاً الكتاب من أوله إلى آخره ، بفحولته وضحكاته المجملجة ونكاته اللاذعة ، وحواره الذكى ، رجل يقترب من الطبيعة فى فورانها وهيجانها ، ويقترب من ذكر الحيوان الذى يطلق